

الدوناتية ودورها في مقاومة الرومان خلال القرنين الرابع والخامس الميلادي

نبيلة حمودي

جامعة الجزائر 2

hammodi15@outlook.fr

تاريخ الإرسال: 2019/05/19؛ تاريخ القبول: 2020/10/14

Donatism and its role in the Roman resistance During the 4th and 5th Century

Abstract:

The ancient Maghreb knew many idolatries, the Romans tried to Romanize after conquering the region. They also imposed other religions on the inhabitants, but with the appearance of the Christian religion in the former Maghreb, many people were influenced by the latter, especially by Roman authoritarianism. It is therefore a religion of equality and justice. Emperor Constantine announced his conversion to Christianity and found that he was appalled as an official religion, the African Donatist Church deviating from the Catholic Church. Which created a conflict between them. This conflict contributed to the evolution of the history of the former Maghreb, because the most significant events were closely related to this conflict. These events buried Donatism as a rebellion against Roman rule and the principles of the official church. The Donatist movement firmly resisted and supported the economic and social revolts such as the Circumcellions, the Firmus and Gildon brothers.

Keywords: ancient Maghreb ; Donatist ; Circumcellions ; Firmus ; Gildon.

حمودي نبيلة

Almawaqif

hammodi15@outlook.fr

Vol. 16 N°: 04 Décembre : 2020

الملخص:

عرفت بلاد المغرب القديم العديد من المعبودات، حاول الرومان رومنتها بعد احتلالهم للمنطقة، كما فرضوا عبادات أخرى عليهم، غير أنه مع ظهور الديانة المسيحية ببلاد المغرب القديم تأثر الكثير من السكان بها، خاصة الطبقة الكادحة، باعتبارها المنفذ الوحيد للتخلص من تسلط الروماني، نظرا لما تتضمنه من مبادئ كالعدل والمساواة. بإعلان الإمبراطور قسطنطين اعتناقه للديانة المسيحية، واعتبارها ديانة رسمية، انشقت الكنيسة الكاثوليكية الرسمية، مما أدى إلى صراع بينهم، و ساهم في تطور مجريات تاريخ بلاد المغرب القديم، لأن أبرز الأحداث كان لها ارتباطا وثيقا بالصراع، ودفعت مجريات الأحداث الحركة الدوناتية إلى التمرد على السلطة الرومانية و تعاليم الكنيسة الرسمية، وعملت على المقاومة ليس بالتحدي فحسب بل وأيضا بتدعيم الثائرين على الأوضاع الاقتصادية الاجتماعية كالدارين والأخوين فرموس و جلدون.

الكلمات المفتاحية: الدوناتية ؛ بلاد المغرب القديم ؛ الدوارين ؛ فرموس ؛ جلدون.

عرفت بلاد المغرب القديم العديد من المعبودات، حاول الرومان رومنتها بعد احتلالهم للمنطقة، كما فرضوا عبادات أخرى عليهم، غير أنه ببلاد المغرب القديم تأثر الكثير من السكان مع ظهور الديانة المسيحية بها، خاصة الطبقة الكادحة، باعتبارها المنفذ الوحيد للتخلص من تسلط الروماني، نظرا لما تتضمنه من مبادئ كالعدل والمساواة. بإعلان

الإمبراطور قسطنطين اعتناقه للديانة المسيحية، و اعتبارها ديانة رسمية، انشقت الكنيسة الكاثوليكية الرسمية، مما أدى إلى صراع بينهم، و ساهم في تطور مجريات تاريخ بلاد المغرب القديم، لأن أبرز الأحداث كان لها ارتباطا وثيقا بالصراع، ودفعت مجريات الأحداث الحركة الدوناتية إلى التمرد على السلطة الرومانية و تعاليم الكنيسة الرسمية، وعملت على المقاومة ليس بالتحدي فحسب بل وأيضا بتدعيم التأثيرين على الأوضاع الاقتصادية الاجتماعية كالدارين والأخوين فرموس وجلدون. وتمحورت الإشكالية العامة للموضوع ، حول مدى مساهمة الحركة الدوناتية في مقاومة الاحتلال .

- ظهور المسيحية وانتشارها :

ظهرت المسيحية ببلاد المغرب القديم وانتشرت في أوساط السكان الأصليين، إلا أن بداية ظهورها وكيفية دخولها تبقى غامضة، بالرغم من أن ابن خلدون، (173:2000) تحدث عن الحواريين الإثني عشر الذين انتشروا في مختلف جهات العالم القديم، ليبشروا بالمسيحية، ومن بينهم شمعون القناني الذي وصل برقة، في حين اتجه فليس لإفريقيا؛ أما بول مونصو(3: 1901, Monceaux(P) فيرى أن دخول المسيحية إلى المنطقة تم عن طريق قرطاجة التي تميزت بعلاقاتها التجارية مع الشرق، خاصة مصر، سوريا واليونان، وبذلك نطلق التبشير بها وتوجه خط انتشارها بدءا من المدن الساحلية فالداخلية ووصولاً إلى الأرياف.

انتشرت المسيحية وكثر معتنقيها بالمنطقة، واشتد تأثيرها على مختلف الشرائح والطبقات، وترتوليانوس (2) شاهد على هذا بقوله: "نحن لم نخلق إلا بالأمس، ونحن نملأ كل مكان، مدنكم، جزركم، ضيعاتكم، مجالسكم، معسكراتكم، قبائلكم، القصر، مجلس الشيوخ، الفوروم، نحن لم نترك لكم لا معابدكم (Tertullianus, Apologétique, XXXVII).

قابلت السلطات الرومانية انتشار المسيحية بالتصدي والاضطهاد، وشكل عهد نيرون بداية الاضطهاد، ثم مرة أخرى في عهد سيبتيموس سيفيروس، وفي نهاية القرن الثالث ميلادي مع دقليانوس، دون أن ننسى الفترات القصيرة التي تخللت عهود الاضطهاد وعرفت هدوءاً نسبياً وكفاً للأذى عن المسيحيين كعهد تراجانوس الذي منع الأذى والبحث عنهم، ما عدا في حالة الوشاية، فحينها يتوجب عليهم أما التخلي عن دينهم أو القتل، ورجع الاضطهاد مرة أخرى في عهد ترتولوس سكابولا (211-213) وديكيا (249-251م) وعهد خلفه غالوس (253-268 م)، غير أنها توقفت لفترة بسبب الطاعون الذي ضرب بلاد المغرب القديم.

عادت الأوضاع لما كانت عليه خلال عهد فاليريان في خريف 257 م، ومن بين الذين قتلوا خلال هذه الفترة القديس كبريانوس في 14 نوفمبر 258 م، ولم تنتصر المسيحية على الوثنية واليهودية إلا بعد اعتناق قسطنطين للمسيحية سنة 312م، وأعلن حرية الدين والمعتقد، بموجب مرسوم ميلان سنة 313م، ومنح المسيحية المساواة مع

الأديان الأخرى، وأعاد للكنيسة أملاكها المفقودة وبني كنائس جديدة وأمر ببناء وزيادة عقاراتها على حساب الوثنية، وواصل من جاء بعده دعمهم للكنيسة، وأعلنت المسيحية ديانة الدولة الرسمية سنة 383م، وبعد انتصار المسيحيين بتنصر السلطة الرومانية تحولوا من مضطهدين إلى مضطهدين، وأصبحوا هم من يبدرون لإثارة المشاكل مع اليهود، ويختلقون الفتن ويثيرون الحقد ضدهم .

وكان قانون ميلان بمثابة مؤتمر سياسي هيمنت عليه إرادة الدولة، كما أن تحالف السلطة الرومانية مع الكنيسة زاد من تفاقم الخلافات بين المسيحيين ببلاد المغرب القديم، إلى أن أصبح انشقاقا في صورة حزبين دينيين، حزب موالي للدولة يتمثل في الكنيسة الرسمية، وحزب معارض لهيمنة السلطة على الدين، بزعامة الكنيسة الدوناتية.

- الدوناتية ببلاد المغرب القديم:

أ- عوامل ظهورها:

تمثل الدوناتية الانشقاق عن الكنيسة الرسمية الكاثوليكية، تنسب إلى دونا القرطاجي الذي أسس كنيسة إفريقية مغايرة للكنيسة الكاثوليكية، ولكن صاحب التاريخ الأدبي لإفريقيا المسيحية، يذكر شخصيتين بهذا الاسم، الأول هو دوناتوس أسقف كازاي نيقراي، والثاني هو دونا القرطاجي الذي خلف الأول وأكمل عمله التنظيمي للكنيسة الدوناتية (Monceaux (P), 1923 : 187-204).

ومن العوامل التي أدت إلى ظهور الدوناتية أيضا، سياسة الاضطهاد التي مارسها الأباطرة الرومان اتجاه المسيحيين ببلاد المغرب القديم، والتي

أدت إلى ارتداد العديد من أتباع المسيحية وتسليم الكتاب المقدس للسلطات الرومانية، بما فيهم رجال الدين والأساقفة الذين أعلنوا ارتدادهم دون أي مقاومة، أو فروا هاربين دون مواجهة كالأسقف كيريانوس (2) الذي غادر قرطاجة لمدة خمسة عشر شهرا، وأعتزل بمكان سري ليس ببعيد عن قرطاجة، بالإضافة إلى أسقف سيرتا بول، وفكتور أسقف روسيكاد، أما أسقف قرطاجة مونصريوس فقد أتهم بتقديم الكتاب المقدس للسلطات الرومانية.

وهذا ما جعل مسيحيو قرطاجة يقارنون بين خيانة الرؤساء وصمود شهداء أبتينا (3) الذين تعرضوا للموت بسبب الجوع في السجون، (Audollent (A), 1901:508) وهو الأمر الذي عزز موقف أساقفة نوميديا في عدم قبول الذين تظاهروا بالعودة إلى الوثنية، ذلك أن عمل المتحمسين في أبتينا، يعتبر بمثابة الميثاق الاجتماعي والديني للمسيحيين، وسمي بميثاق الشهداء، وهو بمثابة قانون يلتزم به ويطبقه كل المسيحيين الأوفياء من خلال الانفصال عن المتخاذلين.

كما يعتبر الصراع الطبقي من بين العوامل التي أدت إلى بروز الحركة الدوناتية ببلاد المغرب القديم، والذي كان نتيجة لتردي الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية لغالبية الأهالي وما نتج عنه من فرض الضرائب ومصادرة الممتلكات والأراضي بالإضافة إلى تكثيف المراكز العسكرية، وتشيتت البنية الاجتماعية من خلال إجبارهم على الهجرة، ولعل ذلك ما أكسب الدوناتية شعبية، خاصة مع حقد الطبقات الفقيرة وكرههم للوجود الروماني، ومع ارتفاع الملتفين حول الدوناتية

ازداد عدد الكنائس الدونانية في المنطقة، وأصبحت الدونانية تعتمد على الطبقة التحتية، وهكذا برزت كدين للفقراء ومدافع عن مطامعهم ومواقفهم.

أرجع بول مونصو فكرة ظهور الحركة الدونانية إلى اعتبارات شخصية تنظيمية، برزت في الخلافات التي حدثت بين أساقفة نوميديا، وأساقفة قرطاجة حول الترشح لمنصب الأسقفية ببلاد المغرب القديم، غير أن محمد البشير شنيقي (2003: 178) ينتقد هذا الرأي، ويرى أن ما ذهب إليه مونصو من تبريرات بجانب للصواب لأنه يوجد عوامل أخرى أعمق أغفلها المهتمون والدارسين للموضوع (Moneaux(P), 1923: 444).

ب- مراحل انتشارها:

ويبدو أن انتشار الحركة الدونانية مر بثلاث مراحل، مرحلة الظهور، المواجهة ثم مرحلة الضعف والتراجع، ففي مرحلة الظهور نلاحظ أنه ليس هناك تاريخ محدد لظهور الحركة الدونانية ببلاد المغرب القديم، غير أنه يمكن إرجاع البوادر الأولى لها إلى حركة نوفاس (4) بروما، ذلك أن امتدادها وصل إلى غاية قرطاجة من أجل انتقام هذا القسيس الروماني لكيبيريانوس وأساقفة بلاد المغرب القديم، بسبب اعترافهم بكورنيليوس أسقفا لكنيسة روما على حسابه.

كما أعتبر انعقاد مجمع سيرتا في 5 مارس 305 م بداية القطيعة بين الكنيستين الدونانية والكاثوليكية، نظرا لرفض القساوسة النوميديين بموجبه الإجراءات المتخذة من طرف الكنيسة في التعامل مع القرارات الإمبراطورية الرامية إلى مصادرة الكتب المقدسة وممتلكات الكنائس.

ويمكننا القول أن تاريخ بروز الحركة الدونانية يرجع إلى مجمع قرطاجة سنة 312م، الذي اجتمع فيه معارضي أسقف قرطاجة كايكليانوس، الذي وقع الاختيار عليه في استخلاف أسقفية مونصوربيوس بعد وفاته سنة 311م، وسار على سياسة سلفه، كما أن رئاسته كانت من طرف أسقف مرتد وهو فليكس من أبوتوني، وقد حضره سبعين أسقفا، اتفقوا على تعيين ماجورانوس أسقفا على قرطاجة، وعدم الاعتراف بشرعية كايكليانوس (Decret(F), 1996:P138) الذي رفض التنازل عن منصبه، مما أدى إلى تكوين خصومه لجهة واحدة بزعامة دوناتوس، وسميت هذه الفرقة بالدونانية، نسبة لزعيمها دوناتوس، وبدأ كل طرف يحاول كسب التأييد وإثبات موقفه بالمنطقة أو خارجها.

وزاد من حدة الموقف والانشقاق، رفض الدونانيين لقرارات مجلس آرل لسنة 314 م، خاصة أمام تراجع موقف ممثلي الكنيسة المتخاذل والقابل ببند إن كل مسيحي يرمي سلاحه يطرد من المسيحية، واعتبروا هذا الأمر خيانة كبرى، ولم يعيروا قرار مجلس آرل أي اهتمام والقاضي بالسماح لهم بالعودة للكنيسة الرسمية والخضوع لأوامر مطرانها كايكليانوس، وكان من نتائج هذا الرفض، منع الدونانيين من دخول الكنائس والاعتصام بها، ما جعلهم يعتبرون الكنيسة الكاثوليكية كنيسة الشياطين.

لهذا اتخذ الإمبراطور قسطنطين إجراءات قانونية من خلال مؤتمر ميلانو في 10 نوفمبر 316م، لتهديد الدوناتيين بالعقوبات الواجب تطبيقها في حقهم في حالة تعنتهم، وهكذا أصبح الإمبراطور هو صاحب السلطة السياسية والدينية المؤيدة للكنيسة الكاثوليكية بزعامة كايكليانوس، مما زاد من انشقاق الدوناتيين، إلا أنها لم تنحرف عن المبادئ المسيحية من خلال انتهاجها للمقاومة السلمية، لكونها حركة دينية وسياسية أظهرت الروح الاستقلالية للأهالي (E) (Albertini, 1950, 120).

غير أنه وبداية من 347م، سوف تنتقل الدوناتية من المرحلة السلمية إلى مرحلة المواجهة التي طغى عليها أسلوب العنف من أجل الدفاع عن وجودهم، وذلك عقب إرسال الإمبراطور قسطنطين بصفة رسمية لمبعوثين إلى إفريقيا هما بولس ومكاريوس لفرض الوحدة الدينية وإحصاء عدد الفقراء.

وعند اقترابهما من مدينة باغاي (5) لجأ دوناتوس إلى وضع عراقيل لهما، كما رفض الصدقات التي أمر قسطنطين بتوزيعها، متهما إياه بالتدخل في شؤون الكنيسة، وهو الأمر الذي يبين رفض الكنيسة الدوناتية للصلاحيات الدينية المخولة للإمبراطور ولصدقة السلطة عليهم، ومع استقطاب دوناتوس لعدد كبير من سكان بلاد المغرب القديم، لمواجهة مبعوثي الإمبراطور، تخوف المبعوثين وطلبا من الكونت سلفستير المساعدة بالتدخل عن طريق السلاح، وبعد الموافقة

على التدخل بالقوة، حول دوناتوس مدينة باغاي إلى معقل للشوار الدوناتيين والمقاومة، كما جعل كنائسها مخازن للتموين.

ويبرر القديس أوغسطينوس هذا العمل العسكري المسيحي بانعدام أحقية التهرب من الجندية لأي مسيحي مادام الإمبراطور اعتنق المسيحية، وغايته حفظ الأمن والسلام. وعموما فقد تميزت هذه المرحلة بالتحالف بين الكنيسة الكاثوليكية والسلطة من جهة، وبين الدوناتية والثوار الريفيين من جهة أخرى. كما عبرت عن الدوافع السياسية الكامنة وراء الانشقاق الديني، وذلك من خلال تحالف الدوناتية مع القوى السياسية والعسكرية المناهضة للإمبراطور، سواء بتحالفها مع الريفيين في البداية، أو بتحالفها مع الأخوين فيرموس وجيلدون.

وبهذا التحالف سوف تدخل الدوناتية مرحلة الضعف والانهايار، كونها انتقلت من مرحلة الارتباط الشعبي ساعية في ذلك لتحقيق العدالة الاجتماعية، إلى مرحلة الارتباط بالزعامة بتحالفها مع الأخوين فيرموس وجيلدون.

إضافة إلى الانشقاق الذي ساد داخل الحركة الدوناتية حوالي 392 م، بين روكاتوس أسقف تنس بموريطانيا القيصرية، وماكسيميانوس الذي طعن أثناء انتخاب بريميانوس، وتبدأ مرحلة تصفية الحركة الدوناتية سنة 411 م، مع الإمبراطور هونوريوس، ففي 31 جانفي 411 م، أصدر مرسوما ينص على غرامة فردية مفروضة على كل دوناتي، لم يلتحق بالكنيسة الكاثوليكية كما يتوجب على السلطات إبعادهم ومصادرة أملاكهم. (المبكر محمد، 2001: 285)

– الدوناتية و ثورات القرن الرابع:

أ– الدوارين (السيركومسيليون):

زادت خطورة الحركة الدوناتية على السلطة الرومانية بتحالفها مع العناصر المتضررة جراء سياسة الرومنة أمثال الدوارين،الذين انتزعت أراضيهم من طرف الملاك الكبار الرومان أو المترومين،ونظرا لتردي أوضاعهم الاقتصادية والاجتماعية نظموا أنفسهم خلال القرن الرابع الميلادي في حركة اجتماعية لإصلاح الوضع وتطبيق العدالة،وشملت هذه الحركة جمهورا واسعا من العمال الريفيين الأحرار خاصة بنوميديا،غير أن هذه الثورة صنفّت على أنها تمرد عصابات، يطوفون حول المزارع ومخازن الحبوب، ويمارسون عملية السلب والنهب.

ويبدو أن تحالف الدوناتيين مع الدوارين كان في سنة 347 م، إثر مواجهة مبعوثي الإمبراطور قسطنطين،بولس ومكاريوس،وبالتالي دعمت الحركة الدوناتية الدينية بحركة اجتماعية واعتبرت الجناح العسكري لها.

غير أن التحالف الذي كان بين الدوناتيين والدوارين،كان طرفيا يتخلله نوع من الحذر والتخوف من جانب الدوناتيين،ذلك أن الكنيسة في هذه الفترة كانت منقسمة على نفسها،جناح معتدل يضم الإكليروس الأعلى الذي لا يجذب التعامل مع الدوارين، وجناح متطرف يضم بعض الأساقفة ورجال الدين الصغار،وهذا الطرف هو الذي كان يتعاون مع الدوارين.

ب- ثورة فيرموس:

تميز التحالف بين الدوناتيين والدواريين بانعدام القيادة السياسية، مما جعل الدواريين لاحقاً ينضمون إلى حركة فيرموس، وأصبحوا يسمون برجال فيرموس، كما تحالف الدوناتيين معهم، وذلك بتقديم دعم عسكري له، في حين مثل فيرموس القيادة العسكرية (Cagnat (R), 1912:79).

إذا ما اعتمدنا على ما ذكره أميانوس (6)، الذي يعتبر المصدر الأساسي لهذه الحرب التي تمتد من جيغل وللباز شرقاً، إلى تنس والشلف غرباً، أوزيا ومسيلة جنوباً، يتبين لنا أنه حصر أسباب الثورة في إطار ضيق، من خلال اعتبارها مجرد مسألة شخصية، وخلافاً بين أخوين، ورغبة في الانتقام، ويبدو من خلال رواية أميانوس، أن السبب المباشر لهذه الحرب هو إثارة القائد الروماني رومانوس الفتنة ومحاولة زرع الفرقة بين أبناء نوبل، من خلال مساندة زاماك له ووقوفه ضد أخيه فيرموس، مما أثار غضب هذا الأخير ودفعه لقتل أخيه. أما الدوافع الخفية والظروف التي ساعدت على قيام ثورة فيرموس، فتتمثل في سوء الأوضاع الاقتصادية للسكان، الناجمة عن السياسة الضرائبية المتبعة من طرف الإمبراطور فالنتينيانوس. (Ammien (M), XXIX, 2-3).

ويبدو أن فيرموس في البداية نجح في الاستيلاء على إيكوزيوم، والسيطرة على المدن الواقعة بسهولة متيجة وسهول تنس وأوزيا، مما دفع بالإمبراطور فالنتينيانوس إلى إرسال حملة بقيادة أحسن ضباطه، وهو الكونت ثيودوز الذي نزل بجيغل، ومنها نحو القيصرية بعد أن أدرك أن

فيرموس بصدد الإعداد للهجوم، التي وجه منها نداء إلى الجماهير، وعد من خلاله الأهالي بالعفو والمكافأة إن تخلوا عن فيرموس. توجه فيرموس إلى إيغمازن، زعيم قبيلة إزفلانسس، إلا أن ثيودوز لحق به، ووقعت المعركة الفاصلة بينهما، وفي ظل انتصارات ثيودوز، تحالف الملك إيغمازن مع ثيودوز خوفا على نفسه وملكه، وأسر فيرموس وسلمه إياه جثة، لأنه فضل الانتحار على أن يقع بين أيدي أعدائه سنة 375م، وبعد أن تأكد ثيودوز من موته عاد إلى سطيف (Dureau de la Malle, 1858:208.)

ج - ثورة جيلدون

أصدر الامبراطور قراتيانوس قرارا بمصادرة جميع الأماكن التي يجتمع فيها الدوناتيين، باعتبارهم شركاء فيرموس، وأمر بمعاقبة الحكام الذين لا يطبقون هذا الحكم، أما فيما يخص تحالف الدوناتيين مع جيلدون، حاكم مقاطعة إفريقية، الذي اغتنم الفرصة لتقوية مركزه، بعد الصراع الذي نتج عن تقسيم الإمبراطورية الرومانية إلى قسمين، غربية بقيادة هونوريوس، وأخرى شرقية بزعمارة أركاديس، وبدأ يتأهب للانفصال عن السلطة الرومانية بالرغم من الإغراءات التي قدمت له (Erenest (M), 1888:136).

كما هو متعارف لدى السلطة الرومانية، فقد إحتفضت بأحد أفراد الأسرة الملكية لوقت الحاجة إليه، فلما استنفذت حاجتها من جلدون لجأت إلى أخيه ماسكزال ليكون قائدا للجيش الروماني.

إندلعت الثورة بين الطرفين، سنة 398 م، وذلك في منطقة أردليو، ما بين حيدرة وتبسة، وبعد مناوشات ومعارك عديدة انهزم فيها جيش جيلدون، حاول التوجه إلى بيزنطة بقارب، لكن الرياح حالت لم تساعده، وتحول مساره إلى طبرقة، حيث تم القبض عليه، ففضل الموت مثلما فعل أخيه فيرموس.

ومن النتائج التي تمخضت عن ثورة جلدون، القبض على أوبتا التيمقادي، أسقف تيمقاد الذي كان من المساعدين الأساسيين لجيلدون، بالإضافة إلى مصادرة أملاك وأموال هذا الأخير، وقمع الأهالي خاصة العناصر الموالية للحركة الدوناتية، مما أدى إلى إنتفاضات والإضطرابات أضعفت الكيان الروماني ببلاد المغرب القديم، ومهدت الطريق لإستقبال الوندال ودعمهم من طرف السكان الأصليين.

- مصير الحركة الدوناتية:

أ- موقف الكنيسة الكاثوليكية:

شكلت الدوناتية بأبعادها الدينية، الاجتماعية والسياسية، حركة إحتضنها الشعب، في حين جاءت ردود الكنيسة والسلطة الرومانية معارضة لها، مما لإضعافها تدريجيا. كما يلاحظ أن موقف الكنيسة الكاثوليكية إتجاه الحركة الدوناتية، إتسم بالتغير من مرحلة لأخرى واحتدام الصراع، ففي المرحلة الأولى تميز بالعنف وبمحاولة استئصالها حين ظهورها، ويتضح هذا من خلال المجامع الدينية، كمجمع روما سنة 313م، ومجمع آرال في شهر أوت 314م، الذي وضع حدا للدوناتيين .

Decret (F), 1996:139

وفي المرحلة الثانية أصبح الصراع على أشده منذ تولي القديس أوغسطينوس (7) السلطة الدينية بعنابة سنة 392 م، الذي عرف بهجومه على هرطقة الدوناتيين، وذلك من خلال رسائله الكثيرة وكتابه ضد رسائل بتليانوس "litteras petiliani contra"، ومؤلفه "ضد حزب دوناتوس".

ب- موقف السلطة الرومانية:

أما عن موقف السلطة الرومانية، فيمكن القول أن الإمبراطور قسطنطين، مثل أول شخصية سياسية تدخلت في الخلاف الذي ظهر بين الكاثوليك الممثلين للكنيسة الرسمية والدوناتيين المنشقين، ورغم تميز الدوناتية بطابعها الديني المحض حين انشقاقها في بادئ الأمر، إلا أنها سرعان ما أصبحت تحمل بعدا سياسيا مناهضا لروما وسياستها، مما أجبر السلطة الرومانية على ملاحقة أتباعها وتعقب خطواتها، ويلاحظ أن المقاومة الدينية ببلاد المغرب القديم أبرزت مدى فشل جهود السلطة الرومانية في رومنة الأهالي، وتراجع صلاحيتها وهيبتها القانونية، كما عجزت من خلال محاكمتها للدوناتية وللثوار الريفيين خلال القرن الخامس الميلادي من استرجاع ما فقدته، بحيث لم تتمكن من الحفاظ على سيطرتها على المغرب القديم، ولم يبق لها سوى الكنيسة الكاثوليكية المتزعمة من قبل القديس أوغسطينوس، والمتحالفة مع كبار الملاك، في المدن والأرياف، والتي لم تستطع إيقاف الزحف الوندالي على المنطقة سنة 429 م.

من خلال دراستنا لموضوع الحركة الدوناتية ببلاد المغرب القديم، وبعد الإحاطة ببعض جوابها توصلنا إلى النتائج التالية:

- عرفت بلاد المغرب القديم الكثير من المعبودات الوثنية الرومانية، كما توافدت الديانة المسيحية التوحيدية إلى المنطقة من الشرق عبر منافذ متعددة، ولقيت قبولا واستحسانا من طرف الأهالي كونها لا تعترف بالعبادات الوثنية وعلى رأسها عبادة الإمبراطور مما دفع بالأباطرة، أمثال نيرون ودكليسيانوس إلى ممارسة شتى أنواع الاضطهاد في حق الفئات المنتصرة، التي وجدت في المسيحية منفذا لها للتعبير عن أوضاعها في ظل الهيمنة الرومانية .

- أصبحت الكنيسة ببلاد الغرب القديم مقسمة على نفسها، كنيسة قرطاج المتهمه بالموالاة للسلطة الرومانية، وكنيسة نوميديا المتمثلة في تيار الحركة الدوناتية ، الرافضة لسلطة كنيسة قرطاج، وبعدها سلطة الكنيسة الكاثوليكية الرسمية، بعد تبني السلطة الرومانية للديانة المسيحية في عهد الإمبراطور قسطنطين، وهذا ما اعتبره الأهالي نوع من الهيمنة الرومانية.

- تميزت الحركة الدوناتية في البداية بطابعها الديني المحض، من خلال دفاعها عن مبادئ الديانة المسيحية القائمة على العدل والمساواة والتسامح، ولكنها سرعان ما أصبحت تحمل بعد سياسي مناهض لروما وسياستها، مما أجبر السلطة الرومانية على ملاحقة أتباعها، ولعلّ هذا ما أكسبها قوة شعبية في المنطقة.

- إنّ الاضطهادات التي تعرضت لها الحركة الدوناتية من قبل الكنيسة الكاثوليكية الرسمية و السلطة الرومانية سببا في اعتماد الدوناتية

على فئات الطبقة العامة من المجتمع، متمثلة ففي فئة الدّوارين، وتطور هذا التحالف إلى اندماج متزايد بين الحركتين، فكان لاحتضان الدّونانية لثورة الدّوارين دليلا لبعدها السياسي و الاجتماعي، ويبدو أنّ هذا التحالف ألحق ضررا ماديا و معنويا للأثرياء والسلطة.

- كانت الدّونانية سندا لثورتي فرموس وجلدون في حربهما ضد السلطة الرّومانية.

- برزت المقاومة الدينية وبلاد المغرب القديم مدى فشل جهود السلطة الرّومانية في رومنة الأهالي، وبالتالي تراجعت صلاحية السلطة الرومانية وهيبتها القانونية .

- إنّ السلطة الرّومانية وعلى رأسها الإمبراطور قسطنطين عجزت من خلال محاكمتها للدونانية وللشّوار الريفين خلال القرن الخامس ميلادي من استرجاع ما فقدته، بحيث لم تحتفظ بسيطرتها على المغرب القديم سوى من الكنيسة الكاثوليكية المتزعمة من قبل القديس أوغسطين والمتحالفة مع كبار الملاك وفي المدن و الأرياف .

- قاوم القديس أوغسطين الحركة الدّونانية، ودافع عن المبادئ الكاثوليكية الرسمية التابعة للسلطة الرومانية، و يظهر أنّ موقفه من الدّونانية ، قد تطور، حيث أنّه لم يكن لم يكن صاحب موقف المضطهد للدّونانية، بل سعى وراء خلاص الدّونانيين، ولم يقبل بحكم الإعدام الصّادر في حقهم.

* الإحالات:

- (1) ترتليانوس: اسمه الكامل كوينتوس سبتيموس ترتليانوس، ولد في حوالي 160م، و يعتبر الشاهد عن الفترة الممتدة من نهاية القرن الثاني إلى بداية القرن الثالث الميلادي ، و هو أول من كتب عن الكنيسة الإفريقية التي احتل فيها مكانة كبيرة.
 - (2) كبريانوس: اعتنق المسيحية سنة 243م، أصبح أسقف قرطاجة (249-258م)، وتعتبر أسقفيته إحدى الفترات التي حقق فيها الانتشار المسيحي تطورات¹ مهمة، حيث تم بناء العديد من الأسقفيات في البروقنصلية، نوميديا وموريطانيا، كما أصبح السلم الكنسي في عهده منظم، فنجد الأسقف، القساوسة، الشمامسة.
 - (3) أبتينا: مدينة صغيرة تقع في حوض مجردة قرب مدينة مجاز الباب.
 - (4) نوفاتوس: كان على رأس الفرقة المعادية لكيريانوس، سافر إلى إيطاليا سنة 251م للبحث عن الدعم، تاركا تسيير الأمور لفليسليموس الذي عينه شماسا ثم أصبح رئيسا للمرتدين.
 - (5) باغاي: مدينة في الجزائر، حاليا بالقرب من خنشلة، شمال غرب لأوراس.
 - (6) اكتفى أميانوس خلال ثورة فيرموس بتتبع حملة ثيودوز على إفريقيا، و لم يتطرق إلى الأسباب الحقيقية للثورة.
 - (7) أوغسطينوس: ولد في تاغست بنوميديا سنة 354م، من عائلة قليلة الثراء، و قد كان والده باتركيوس يتدين بالوثنية، أما والدته مونيكا فقد كانت مسيحية، و لم يعتنق أوغسطين المسيحية إلا في حدود 387م مما مكنه من الحصول على منصب مساعد الكاهن لأسقفية مدينة هيون، ثم كاهنا لها في سنة 395م و بقي فيها إلى غاية وفاته سنة 430م، ويظهر أنّ سانت أوغسطين قد لعب دورا هاما للقضاء على الدوناتية.
- * المراجع العربية:

- ابن خلدون عبد الرحمن، (2000)، ديوان العبر، ج 2، لبنان: دار الفكر للطباعة و النشر.
- إيمار أندري، (1968) تاريخ الحضارات العام، روما و إمبراطوريتها، ترجمة، داغر أسعد، لبنان.
- المبكر محمد (2001)، شمال إفريقيا القديم، حركة الدوائر وعلاقتها بالدوناتية، 305-429م، ط 1، الرباط.
- حارش محمد الهادي، (1993). « ثورة فرموس »، مجلة الدراسات التاريخية، العدد السابع، الجزائر: ص 11-22.
- شارل أندري جوليان، (1969) تاريخ إفريقيا الشمالية، ترجمة، محمد مزالي، الدار التونسية للنشر.
- شنيقي محمد البشير، (1984). التغيرات الاقتصادية والاجتماعية في المغرب أثناء الاحتلال الروماني، ودورها في أحداث القرن الرابع، الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب.
- شنيقي محمد البشير، الجزائر في ظل الاحتلال الروماني، بحث في منظومة التحكم العسكري، اللمس الموريطاني ومقاومة المور، ج 2، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.
- صقر أحمد، الاقتصاد والمجتمع في شمال إفريقيا، مدينة المغرب في التاريخ، ج 1، تونس: دار بوسلامة للنشر.
- عقون محمد العربي، (2008). الاقتصاد والمجتمع في الشمال الإفريقي القديم، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.
- غانم محمد الصغير، (2007). المقاومة والتاريخ العسكري المغاربي القديم، سلسلة المشاريع الوطنية للبحث، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية، وثورة أول نوفمبر 1954م.

- غانم محمد الصّغير، (2011). المظاهر الحضارية والتراثية لتاريخ الجزائر القديم، مقالات وآراء في تاريخ الجزائر القديم، ج 4، الجزائر: دار الهدى للطباعة.
 - مسعودي آسيا (1984-1983) المقاومة العسكرية للوجود الرّماني في المغرب، (ثورتا تاكفاريناس وفرموس، والمقارنة بينهما)، مذكرة سنة أولى ماجستير، الجزائر.
 - مقدّم بنت النبي، (2012-2013). لأسرة في بلاد المغرب القديم، خلال العهد الرّوماني الإمبراطوري الأعلى، 27ق.م-484م، أطروحة الدّكتوراه في التاريخ القديم، الجزائر.
 - منصوري خديجة، (1996) «ثورة فرموس» ،مجلة أبحاث في التاريخ والتراث، العدد الأوّل، وهران.
- * المراجع الأجنبية:

- Albertini (E), (1950). L'Afrique Romaine, Alger,.
- Ammien (M), Histoire Romaine, Traduction, Nizard (M), Paris Firmin.
- Audollent (A), (1901). Carthage Romaine, 146 avant jesus-christ_ 698 après jesus-Christ, Paris, édition, Albert Fontenoing.
- Augustin (St), Opuscles, XII, Les Rèvèsions, texte de l'èdition Bènèdication.
- Cagnat (R), (1922). l'Armée Romaine d'Afrique de l'Occupation militaires de l'Afrique saus les empireurs, T1, Paris.
- Decret (F), (1996). le Christianisme en Afrique du Nord Ancienne, Paris, édition, Sewil.
- Dureau de la Malle, (1858). Algerie, Histoire des Guerres des Romaines, des Byzantins et des Vandales, Paris.
- Ernest (M), (1888). Histoire de l'Afrique Septentrionale de puis les plus reculies, jusqu'à la Conquête Française 1830, T1, Paris : éditeur Ernest Lerouse.
- Gsell (S), (1903). l'Algerie dans l'Antiquité, édition, Adoulphe Jourdan, Alger.

- Julien(Ch),(1969)Histoire de l'Afrique du Nord,Paris :édition, Payot.
- Mesnage (J.P),(1914).Le Christianisme en Afrique,Origines développements,extension, Paris.
- Monceaux (P),(1901)Histoire Littéraire de l'Afrique Chrétienne,depuis les Origines Jusqu'à l'invasion Arab,T1,Paris.
- Monceaux (J.P),(1923)Histoire Littéraire de l'Afrique Chrétienne,T4, Paris : édition,Leroux.
- Saumagne (Ch),(1975)Saint Cyprien,évêque de Carthage 249-258, Paris.
- Serge Lancel,(1999).SaintAugustin, Librairie,Athènes,Fayard.
- Tertullien,(1929). Apologétique,Traduit, Waltzin Jaen Pièrre,Paris.

للإحالة على هذا المقال:

- حمودي نبيلة، (2020)، « الدوناتية ودورها في مقاومة الرومان خلال القرنين الرابع والخامس الميلاد ». المواقف، المجلد: 16، العدد: 04، ديسمبر 2020، ص. ص 32-52.
